الإمام الشافعي

204-150 هـ

هذا علم شامخ من أعلام الإسلام، وواسطة العقد بين أئمة أهل السنة والجماعة ألا وإنه الإمام الشافعي القرشي المطلبي.

هو ثالث الأئمة الأربعة المشهورين من حيث الزمن، ولكنه الثمرة اليانعة من حيث النضوج العلمي والفكري.

1- نسبه الشريف :

هو الإمام: أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب ابن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف، القرشي المطلبي الشافعي، يتصل نسبه الشريف برسول الله ﷺ في عبد مناف.

وباقي النسب معروف إلى عدنان جده شافع صحابي لقي الرسول ﷺ وهو مترعرع، وكان أبو شافع (السائب) صاحب راية بني هاشم يوم بدر فأسر وفدى نفسه ثم أسلم، فقيل له لِمَ لَمْ تسلم قبل أن تفدي نفسك؟ فقال: ما كنت أحرم المؤمنين مطعماً لهم فيَّ، ثم كان السائب صحابياً جليلاً[1] وأمه فاطمة الأزدية، وكانت من العابدات القانتات ومن أذكى الخلق فطرة[2].

---

(1) وفيات الأعيان ج3 ص305.

(2) من طريف ما يحكى عن أم الشافعي من الذكاء، أنها شهدت عند قاضي مكة هي وأخرى مع رجل، فأراد القاضي أن يفرق بين المرأتين فقالت له أم الشافعي: ليس لك ذلك لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ فرجع القاضي لقولها في ذلك، الإمام الشافعي للأستاذ عبد الغني الدقر عن توالي التأسيس 66.

2- مولده

في نهار الجمعة آخر يوم من شهر رجب من سنة مائة وخمسين ولد الإمام الشافعي في مدينة غزة أو عسقلان (حيث كان أبوه (إدريس) في المدينة فظهر فيها بعض ما يكرهه فخرج إلى عسقلان وضاحيتها غزة[1] فأقام بها حتى توفي فيها، وكان قليل ذات اليد)[2] ولد الإمام الشافعي في اليوم الذي توفي فيه الإمام الحنفي فكانا كما قيل:

نجم سماء كلما غار كوكب بدا كوكب تأوي إليه كواكبه

وحملته أمه إلى مكة بعد وفاة أبيه، وكان عمره سنتين فنشأ بها[3] وترعرع في بلد الله الأمين وبيته الحرام، مهبط وحي السماء، بين أحضان العلم والعلماء.

لم يع الشافعي وجوده إلاَّ بمكة المكرمة بلد آبائه وأجداده، مهبط الوحي ومنبت الإسلام، وفي المسجد الحرام عشرات المحدثين والفقهاء والعلماء الباحثين في حلقات لا يكاد تفتر، والطواف حول الكعبة الشريفة لا ينقطع ليلَ نهارَ صباحَ مساء.

فتح الشافعي بصره وبصيرته على هذه البيئة وبدأ يتفاعل معها، ليأخذ مكانه الطبيعي بين العلماء وأشراف الناس.

الشافعي يتعلم

ولكن من أين لليتيم الفقير المسكين، ولأمه الأرملة الفقيرة الدراهم والدنانير للنفقة على التعلم؟ رغم ذلك التحق بكتّاب، فرضي المعلم أن تكون أجرته رمزية، وذلك لأنه أنس منه الذكاء، وتفتحت عبقريته باكراً، وتلقف العلوم طفلاً، وأوتي الحكمة صبياً، وهو المحدث عن نفسه قال: (كنت أنا في الكتاب أسمع المعلم يلقن الصبي الآية فأحفظها أنا) ولقد كنت - أصغي إلى إملاء المعلم - حتى إذا فرغ من الإملاء على الصبية قد حفظت جميع ما أملى.

---

(1) عسقلان: مدينة من أعمال فلسطين على ساحل البحر بين غزة وبيت جبرين.

(2) توالي التأسيس 49.

(3) وفيات 307.

فقال لي ذات يوم: لا يحل أن آخذ منك شيئاً[1].

واستمر يغتنم عبقريته حتى حفظ جميع القرآن وهو ابن سبع سنين[2] أو قريباً من ذلك، وهكذا فقد عشق العلم طفلاً فانبرى يتلقفه صبياً ويافعاً، يدخل المسجد الحرام يختلف إلى العلماء ويتعلم منهم بشغف شديد وذهن حاد، وهو ما يزال في ضيق من العيش، وقلة ذات اليد، حتى أنه لم يجد ثمن ورق يدون عليه بعض ما سمع من المعلم، فكان يعمد إلى التقاط العظام، وأكتاف الجمال، وغير ذلك، وهو القائل: طلبت هذا الأمر عن خفة ذات يد.

ولشدة فاقته نصحه نسيب له أن يتكسب ويدع العلم لا يعجل إليه، قال: قدمت مكة وأنا ابن عشر أو شبهها[3] فصرت إلى نسيب لي، فرآني أطلب العلم فقال لي: لا تعجل بهذا، وأقبل على ما ينفعك -يعني التكسب- قال: فجعلت لذتي في العلم حتى رزق الله ما رزق[4].

وفي هذه الفترة المبكرة مال إلى اللغة العربية فانبرى يسمعها من أفواه العرب، حتى يستعين بها على فهم كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، قال الشافعي: "خرجت أطلب النحو والأدب فلقيني مسلم بن خالد الزنجي[5] فقال يا فتى: من أين أنت؟ قلت من أهل مكة، قال: أين منزلك؟ قلت بشعب الخيف، قال من أي قبيلة أنت؟

---

(1) الإمام الشافعي لفضيلة الأستاذ عبد الغني الدقر ص45-46 عن صفوه الصفوة (2-141) ومعجم الأدباء (17-284).

(2) شذرات الذهب (2-9).

(3) مر عن الوفيات أن أمه حملته إلى مكة وكان عمره سنتين، ويظهر من الروايات المتعددة أن أمه قدمت به من غزة أو عسقلان وهو ابن سنتين فنزلت به عند قومها من الأزد (اليمنيين) فخافت عليه أن يضيع نسبه فأقبلت به إلى مكة وهو ابن عشر سنين، مناقب الشافعي 21.

(4) الإمام الشافعي عن توالي التأسيس (49).

(5) هو مسلم بن خالد بن مسلم بن سعيد القرشي المخزومي (مولاهم) المعروف بالزنجي، تابعي من كبار الفقهاء، كان إمام أهل مكة، أصله من الشام، ولقب بالزنجي لحمرته، أو على الضد لبياضه، وبه تفقه الإمام الشافعي قبل أن يلقى مالكاً، وهو الذي أذن للشافعي بالإفتاء، الأعلام للزركلي ج8 ص118 عن طبقات الفقهاء 48 واللباب وتذكرة الحفاظ.

قلت من عبد مناف. قال: بخ بخ!! لقد شرفك الله في الدنيا والآخرة، ألا جعلت فهمك في هذا الفقه فكان أحسن بك[1].

فأقبل على الفقه والأدب معاً، فكان يتنقل بين العرب، ونزل في هذيل (وكانوا أفصح العرب) يسمع فصيح كلامهم، ويحفظ أشعارهم حتى بلغ في ذلك ما جعله حجة في العربية، وأستاذاً لمثل الأصمعي، قال الشافعي: (حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين، وقرأت الموطأ وأنا ابن عشر سنين، وأقمت في بطون العرب عشرين سنة آخذ أشعارها ولغاتها وحفظت القرآن، فما علمت أنه مر بي حرف إلا وقد علمت المعنى فيه، والمراد منه، ما خلا حرفين أحدهما (دساها)[2] وقال: (ثم إني خرجت عن مكة فلزمت هذيلاً في البادية، أتعلم كلامها وآخذ طبعها، وكانت أفصح العرب، قال: فبقيت فيهم سبع عشرة سنة، أرحل برحيلهم، وأنزل بنزولهم، فلما رجعت إلى مكة جعلت أنشد الأشعار، وأذكر الآداب والأخبار وأيام العرب[3].

فإذا كان الشافعي قد اندفع للفقه بكل قواه فإنه لم يهمل العربية وآدابها[4] حتى برع فيهما جميعاً، وبذّ القائلين، وفاق الأقران، وعلا الأتراب.

قال الشافعي: قدمت على مالك بن أنس، وقد حفظت الموطأ[5] فقال لي: أحضر من يقرأ لك، فقلت: أنا قارئ، فقرأت عليه الموطأ حفظاً.

فقال: إن يك أحد يفلح فهذا الغلام، وكان سفيان بن عيينة إذا جاءه شيء من التفسير أو الفتيا التفت إلى الشافعي فقال: سلوا هذا الغلام، وقال الحميدي: سمعت الزنجي بن خالد -يعني مسلماً- يقول للشافعي: افت يا أبا عبد الله فقد (والله) آن لك

---

(1) الإمام الشافعي لشيخنا عبد الغني الدقر عن المجموع (1-15).

(2) دساها: من دس نفسه أخفاها بالفجور والمعاصي: السجستاني في غريب القرآن.

(3) يظهر أن مكوثه في هذيل سبع عشرة سنة غير دقيق لأنه ذهب إلى مالك وهو صغير أو أنه عاد إلى هذيل بعد رحلة المدينة، وهذا بعيد.

(4) الإمام الشافعي ص51 عن معجم الأدباء (17-284).

(5) كان الشافعي قد استعار الموطأ من رجل بمكة وحفظه عن ظهر قلب قبل أن يأتي مالكاً.

أن تفتي، وهو ابن خمس عشرة سنة، وقال محفوظ بن أبي توبة البغدادي: رأيت أحمد بن حنبل عند الشافعي في المسجد الحرام، فقلت: يا أبا عبد الله! هذا سفيان بن عيينة في ناحية المسجد يحدث.

فقال: إن هذا يفوت وذلك لا يفوت.

وقال أبو حسان الزيادي: ما رأيت محمد بن الحسن يعظم أحداً من أهل العلم تعظيمه للشافعي ولقد جاءه يوماً فلقيه، وقد ركب محمد بن الحسن فرجع إلى منزله وخلا به يومه إلى الليل ولم يأذن لأحد عليه[1].

هكذا فإن شخصية الشافعي وعلمه وأدبه ودينه وسلوكه جعله طرازاً فريداً في دنيا العلم والعلماء، بحيث ذهب الإمام أحمد بن حنبل (تلميذ الإمام) إلى أنه (أي الشافعي) مجدد القرن الثاني معتمداً على الحديث الشريف: (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يقرر لها دينها) ويرى ابن حنبل أن عمر بن عبد العزيز كان على رأس المائة الأولى ورجا أن يكون الشافعي على رأس المائة الثانية[2].

وإن أبا عاصم العبادي صاحب طبقات الشافعية يرى أن حديث الرسول ﷺ (لا تسبوا قريشاً فإن عالمها يملأ طباق الأرض علماً)[3] لا ينطبق على أحد من قريش قدر انطباقه على الشافعي، ويقول أبو عاصم: وما سارت من قريش من الكتب في الأقطار حفظها الكبار والصغار، وشاع ذلك في البلاد وبين العباد كما سارت عن الشافعي[4] وما كان هذا العلم الجم، والتراث العميم هو حصيلة ما عند أهل مكة من علم وفضل، بل كان حصيلة رحلات وجولات، وعصارة علوم وعقول وأفكار، فلم يدع الإمام العظيم فرصةً تضيع، ولا رحلة تمر، ولا شمساً تبزغ وتغرب إلا ويستفيد من ذلك علماً وفضلاً وخبرة.

---

(1) وفيات الأعيان ج3 ص306 ترجمة 530.

(2) معجم الأدباء 17-314.

(3) الحديث رواه أبو داود الطيالسي.

(4) طبقات الشافعية ص9.

التهم الشافعي معظم ما في مكة من علم (بعد أن تجول في البادية وأخذ منها أعذب اللغة والأدب) روى عن سفيان بن عيينة ما عنده من علم الحجاز من حديث وغيره، وأخذ عن الزنجي (شيخ الحرم ومفتي مكة) ما عنده من فقه، حتى برع في جميع ذلك، ورمقه الزنجي بنظره الثاقب فقال: قد آن لك أن تفتي يا غلام، فأفتى في سن مبكر، وهل يقنع بذلك الغلام الطموح؟ كلا، بل سمع بالإمام مالك - إمام دار الهجرة، ووريث الفقهاء السبعة[1] فتطلع إلى الاجتماع به وأخذ ما عنده من علم، يقول

---

(1) الفقهاء السبع الذين آلت إليهم الفتيا بعد الصحابة، كانوا في المدينة في عصر واحد وعنهم انتشر العلم والفتيا في الدنيا، ولما قيل لهم الفقهاء السبعة وشهروا بهذا الاسم لأن الفتيا بعد الصحابة صارت إليهم ونتشرف بترجمتهم فيما يلي:

1- سعيد بن المسيب (هو أحد الفقهاء السبعة في المدينة المنورة) هو أبو محمد سعيد بن المسيب بن حزن القرشي المدني المخزومي: كان سيد التابعين من الطراز الأول، جمع بين الحديث والفقه والزهد والعبادة والورع، سمع سعد بن أبي وقاص وأبا هريرة، وتزوج بنت أبي هريرة ﷺ توفي في المدينة سنة 91هـ رحمه الله وفيات الأعيان ج2 ص117.

2- عروة بن الزبير بن العوام: أبوه الزبير أحد المبشرين بالجنة، وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق ﷺ، وهو شقيق عبد الله بن الزبير، كان عروة، ورعاً عابداً فقيهاً واسع العلم والفضل ثبتاً حجة، أحد الفقهاء السبعة ولد في خلافة عثمان بن عفان، وتوفي سنة 94 رحمه الله رحمة واسعة، المختصر في رجال الأثر ص122.

3- عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي مفتي المدينة وأحد الفقهاء السبعة فيها، من أعلام التابعين، كان ثقة عالماً فقيهاً، وهو مؤدب عمر بن عبد العزيز، مات بالمدينة سنة 98هـ الأعلام للزركلي ج4 ص350.

4- القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، أحد الفقهاء السبعة في المدينة، وكان صالحاً ثقة من سادات التابعين، قال ابن عيينة في الجرح والتعديل: كان القاسم أفضل أهل زمانه ولد في المدينة المنورة سنة 37 وتوفي بقديد بين مكة والمدينة حاجاً أو معتمراً سنة 107هـ الأعلام ج6 ص15.

5- سليمان بن يسار (أبو عبد الله) مولى ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وهو أخو عطاء بن يسار وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة المنورة، وكان عالماً ثقة عابداً ورعاً حجة، وقال الحسن بن محمد: (سليمان بن يسار) عندنا أفهم من سعيد بن المسيب، ولم يقل أعلم ولا أفقه، روى عن ابن عباس وأبي هريرة وأم سلمة رضي الله عنهم، توفي سنة 107هـ وهو ابن 73 سنة، وفيات ج2 ص135.

6- أبو بكر: هو أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة القرشي المخزومي.

أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، أبوه الحارث أخو (أبي جهل بن هشام) من الصحابة الأجلاء: كان أبو بكر المذكور من سادات التابعين، وكان يسمى راهب قريش، ولد في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ وتوفي سنة 94هـ، الوفيات ج1 ص289. =

النووي: (فلما أخذ الشافعي رحمه الله في الفقه وحصَّل منه على مسلم بن خالد الزنجي وغيره ما حصَّل، رحل إلى المدينة قاصداً الأخذ عن أبي عبد الله مالك بن أنس ﷺ)، ورحلته مشهورة، فيها مصنف معروف[1] وهو يحدثنا عن الرحلة فيقول فيها: (ثم إني خرجت من مكة فلزمت هذيلاً في البادية[2] أتعلم كلامها وآخذ طبعها - وكانت أفصح العرب - فلما رجعت إلى مكة جعلت أنشد الأشعار وأذكر الآداب والأخبار وأيام العرب، فمر بي رجل من الزبيريين من بني عمي، فقال لي يا أبا عبد الله! عز عليَّ أن لا يكون مع هذه اللغة وهذه الفصاحة والذكاء فقه، فتكون قد سدت أهل زمانك، فقلت: فمن بقي نقصد؟ فقال لي: مالك بن أنس - سيد المسلمين يومئذ - قال: فوقع في قلبي، فعمدت إلى الموطأ فاستعرته من رجل بمكة، فحفظته في تسع ليالٍ ظاهراً، قال: ثم دخلت إلى والي مكة وأخذت كتابه إلى والي المدينة، والي مالك بن أنس، قال: قدمت المدينة فأبلغت الكتاب إلى الوالي فلما أن قرأ قال: يا فتى إن مشيي من جوف المدينة إلى جوف مكة حافياً راجلاً أهون عليَّ من المشي إلى باب مالك بن أنس ... (إلى آخر ما ورد من القصة عند الكلام على الإمام مالك) إلى أن قال الشافعي: (فلما أن سمع كلامي نظر إليَّ ساعة، وكانت لمالك فراسة فقال لي ما اسمك؟ قلت محمد، فقال لي: يا محمد! اتق الله واجتنب المعاصي فإنه سيكون لك شأن من الشأن، ثم قال: نعم وكرامة إذا كان غد تجيء ويجيء من يقرأ لك، قال فقلت: أنا أقوم بالقراءة، قال: فغدوت عليه، وابتدأت أن أقرأه ظاهراً، والكتاب في يدي، فكلما تهيبت مالكاً وأردت أن أقطع، أعجبه حسن قراءتي وإعرابي فيقول: يا فتى زد حتى

= 7- خارجة: وهو أبو زيد خارجة بن زيد بن ثابت الأنصاري، أبوه زيد من أكابر الصحابة وعلمائهم، وخارجة من الفقهاء السبعة بالمدينة تابعي جليل عالم فاضل فقيه توفي سنة 99هـ.

وفيات الأعيان ج2 ص4 وقد نظمهم بعض الفضلاء فقال:

ألا كلّ من لا يقتدي بأئمة ... فقسمته ضيزى عن الحق خارجه

فخذهم عبيد الله عروة قاسم ... سعيد سليمان أبو بكر خارجه.

(1) الشافعي لعبد الغني الدقر عن تهذيب الأسماء واللغات (1-47).

(2) مر بعض هذه القصة في الكلام عن مالك، وفيما مر عن الشافعي.

قرأته في أيام يسيرة ثم أقمت في المدينة حتى توفي مالك بن أنس)[1].

كان مكوث الشافعي في المدينة نحو عشر سنين وهو يتردد إلى مالك وغيره من علماء المدينة فما ترك عند مالك بن أنس من العلم إلا الأقل، ولا عند شيخ من مشايخ المدينة إلاَّ جمعه، فيكون قد أحاط بعلم أهل الحجاز، حيث أخذ عن سفيان بن عيينة بمكة وعن مالك في المدينة وهو يقول: (لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز)[2] ويقول: (مالك وسفيان قرينان في إسناد الحجاز)[3].

وكان الشافعي في إقامته بالمدينة يؤوِّب إلى مكة بين الفينة والفينة، حتى إذا مات مالك رجع إلى مكة وقد عضه الفقر بأنيابه، فسعى له بعض أقاربه عند وال على اليمن قدم المدينة أن يصحبه إلى اليمن لعله يجد عملاً، وتم الأمر ورحل إلى اليمن.

رحلته إلى اليمن ومحنته

رحل الشافعي إلى اليمن لأجل العمل فأتاها فعمل في بعض دواوين القضاء وأجاد إجادة نادرة فحمد فزادوه من الأجر . . واشتهر الشافعي في اليمن كما اشتهر في مكة.

ثم ولي قضاء نجران، أو عملاً إدارياً فيها، وعلى كل لم يداري ولم يماري واختار العدل والأمانة والدين ورضاء الله عن رضى الخلق، ولكن هذا لم يرق لبعض المتنفذين، لذلك أجمعوا أمرهم وسعوا به إلى السلطان سعاية منكرة كادت تودي به لولا حفظ الله له.

ففي سنة 184هـ حمل الشافعي إلى العراق كرهاً لا طوعاً، فقد أوثقه حماد البربري - والي مكة واليمن - في الحديد بتهمة الخروج على الدولة مع العلويين، فلما انتهى إلى بغداد قيل له: الزم الباب[4] يقول الشافعي: (فنظرت فإذا أنا لابد لي من

---

(1) الإمام الشافعي عن معجم الأدباء (17-284).

(2) أدب الشافعي 205.

(3) أدب الشافعي 205.

(4) أي فرضوا عليه إقامة جبرية في بغداد لحين طلبه، ولكن طليقاً بدون حبس.

الاختلاف إلى بعض أولئك[1] وكان محمد بن الحسن جيد المنزلة، فاختلفت إليه، وقلت: هذا أشبه لي من طريق العلم، فلزمته وكتبت كتبه، وعرفت قولهم، وكان إذا قام ناظرت أصحابه) [2] ويقول الشافعي: (أنفقت على كتب محمد بن الحسن ستين ديناراً، ثم تدبرتها فوضعت إلى جنب كل مسألة حديثاً، إذن كتبت له بالأجرة، أي رجل هذا؟ مطلوب موقوف لا يغفل عن العلم لحظة، لله دره من رجل.

نجاته من المحنة

وبفضل صدقه وصبره، وعلمه وبراءته وفصاحته ورباطة جأشه فرج الله عنه محنته، فقد تحدث الشافعي عن هذه الفترة المفزعة فقال: (جئت يوماً فجلست إلى محمد بن الحسن وأنا من أكثر الناس هماً وغماً من أمير المؤمنين، وزادي قد نفد فلما أن جلست أقبل محمد بن الحسن يطعن على أهل المدينة، فقلت: إن طعنت على البلد فإنها مهاجر رسول الله ﷺ ومهبط الوحي، وإن طعنت على أهلها فمنهم أبو بكر وعمر والمهاجرون والأنصار، فقال: معاذ الله أن أطعن عليهم، وإنما أطعن في حكم من أحكامهم، فذكر الشاهد واليمين (فذكر بحثه معه في ذلك ومباحث كثيرة ذكرها) قال: ورجل ورائي يكتب ألفاظي، وأنا لا أعلم، فأدخل ما كتب على هارون، وقرأه عليه، فقال هرثمة بن أعين[3]: كان الرشيد متكأ فاستوى جالساً فقال: أعد، فأعاده عليه، فقال: صدق الله ورسوله، قال رسول الله ﷺ: (تعلموا من قريش ولا تعلموها، وقدموا قريشاً ولا تؤخروها) ما أنكر أن يكون محمد بن إدريس أعلم من محمد بن الحسن، قال: فرضي عليَّ وأمر لي بخمسمائة دينار، فخرج هرثمة فقال لي: قد أمر لك بخمسمائة دينار وقد أضفنا إليه مثله، فوا الله ما

---

(1) أي من الذين لهم منزلة عند الخليفة.

(2) الإمام الشافعي عن أدب الشافعي ومناقبه (32).

(3) هرثمة بن أعين من القادة الشجعان ولاه الرشيد مصر ثم وجهه إلى إفريقيا لإخضاع أهلها وانحاز إلى المأمون في الخلاف بينه وبين الأمين وأخيراً كانت عاقبته القتل سنة 200.

ملكت قبلها ألف دينار وهذه رواية أبي نعيم في الحلية[1].

وروى الساجي بسنده[2] إلى الشافعي قال: (كتب حماد البربري[3] إلى الرشيد: إن كانت لك حاجة قبلنا (يفي باليمن) فاحذر محمد بن إدريس، فإنه قد غلب على ما قبلي ولو أراد الخروج لم يبق أحد إلاَّ تبعه، قال فحملت إلى الباب واجتمع عليَّ أصحاب الحديث)[4].

وروى الآبري[5] إلى الشافعي بسنده قال: (خرجت إلى اليمن فأقمت بها أشهراً وارتفع لي بها شأن، وكان بها وال من قبل الرشيد، وكان ظلوماً غشوماً، فكنت ربما أخذت على يديه ومنعته من الظلم، وكان باليمن جماعة من العلويين قد تحركوا، فكتب الوالي إلى الرشيد: إن العلوية قد تحركوا، وأرادوا أن يخرجوا، وإن ههنا رجلاً من ولد شافع بن السائب من بني المطلب، لا أمر لي معه ولا نهي، فكتب إليه الرشيد أن يقبض عليهم وعلي، قال الآبري: فبلغني عن محمد بن زياد - وكان نديم هارون - أنه كان عند هارون حين أدخلوا عليه، فقتل العلوية، ثم التفت إلى الشافعي فقال: يا أخا شافع: شققت العصا وخرجت مع العلوية علينا؟ فقلت: يا أمير المؤمنين! أأدع من يقول: إني ابن عمه، وأصير إلى من يقول: إني عبده، قال: فأطلق عنه ووصله[6] وقال له: عظني، فوعظه إلى أن بكى ثم أمر له بخمسين ألف درهم.

فهذه الروايات وإن اختلفت في ألفاظها، فكلها مجمعة على أن الشافعي أحضر إلى باب الخلافة بتهمة الخروج على الدولة، ولولا لطف الله تعالى لأودت بحياته، ويمكن الجمع بين الروايات فإن ذكر الشيء لا ينفي ما عداه، والله أعلم، والمهم أن الشافعي نجى من المحنة.

---

(1) راجع الإمام الشافعي لفضيلة الأستاذ عبد الغني الدقر ص91 وما بعدها عن توالي التأسيس (70) وأبو نعيم: هو أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني ولد وتوفي في أصبهان سنة 430 هـ.

(2) الساجي: هو زكريا بن يحيى الساجي أبو يحيى البصري الحافظ وثقه قوم وضعفه آخرون توفي سنة 307.

(3) كان حماد البربري وال على اليمن من قبل الرشيد.

(4) المصدر السابق عن توالي التأسيس (70).

(5) هو محمد بن الحسين السجستاني وآبر قرية بسجستان، كان حافظاً مجوداً ثبتاً له كتاب مناقب الشافعي توفي سنة 363.

(6) المصدر السابق عن توالي التأسيس (70).

عاد الشافعي إلى مكة ومعه حمل بعير من علم أهل الرأي، وقد سمع علوم العراق من فقيه العراق محمد بن الحسن الشيباني (الحرستاني) صاحب أبي حنيفة وثالث رجل في المذهب[1] فيكون الإمام قد حصل على علم الحجاز وعلم العراق.

وتكمل للشافعي أسباب النضوج، ويجلس في ثوبه الأبيض، ووجهه المشرق الذي تعلوه سمرة[2] خفيفة على مقربة من بئر زمزم ينثر على الناس درر علمه في يسر وسخاء وتواضع، ويجيب على أسئلتهم في ثقة وعدل وأمانة.

ويجادل مخالفيه في الرأي بإيمان وثبات وحجة نابعة من كتاب الله وسنة رسوله وعلم فياض وذكاء ثاقب وعبقرية فذة، فيشيع اسمه، وتكثر تلامذته، وفي مقدمتهم الإمام الجليل أحمد بن حنبل، ويُجمع الناس على فضله وعلمه ودينه، وورعه.

وابتدأ يعيد النظر في أصول المذاهب وفروعها، فاتجه إلى الاجتهاد المطلق.

قال أحمد بن حنبل لابنه: يا بني! كان الشافعي كالشمس للدنيا وكالعافية للبدن، وهل لهذين من خلف؟ أولَهُما من عوضٌ؟[3].

ولقد ألمَّ بعلوم زمانه جميعها فجدير أن يقول عنه ابن خلكان: اتفق العلماء قاطبة من أهل الدين والفقه والأصول واللغة والنحو وغير ذلك على ثقته وأمانته وعدالته وزهده وورعه ونزاهة عرضه، وعفة نفسه، وحسن سيرته، وعلو قدره وسخائه[4].

---

(1) رجال الأحناف: الإمام فأبو يوسف فمحمد فزفر.

(2) يقول ابن الصلاح (عثمان بن عبد الرحمن الكردي أحد المتقدمين في التفسير والحديث والفقه والرجال) كان الشافعي طويلاً سائل الخدين (رقيقهما) قليل لحم الوجه طويل العنق، طويل القصب (طويل العظام) أسمر خفيف العارضين، وقال المزني: ما رأيت أحسن وجهاً من الشافعي، إذا قبض على لحيته لا تفضل عن قبضته. شذرات الذهب (2-9).

(3) الوفيات ج2 ص305.

(4) الوفيات ج3 ص307.

الشافعي والسياسة

يرى علماء ذلك العصر، والعصور التي تلته أن يتجنبوا الأمور السياسية –التي لا تخلوا من المحن وأن يتفرغوا لما هو أهم وهو الاشتغال بعلوم الدين تعلماً وتعليماً وشعار كل يقول:

تركت للناس دنياهم ودينهمُ شغلاً بشرعك يا ديني ودنيائي

ولا يمنع هذا من أن يكون لهم رأي أدبي مستمد من الشريعة الغرّاء.

وهذا ما كان عليه الإمام الشافعي، فقد كان يحترم جميع الصحابة ﷺ، وقد غرس في قلبه حب أبي بكر وعلي وآل البيت جميعاً[1] يملي عليه دينه ذلك لما لأبي بكر من مواقف تنزل دونها الأقدام، ولما لعلي من مآثر ليست لغيره من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، والشافعي يعلن ذلك فيقول:

إذا نحن فضلنا علياً فإننا روافض بالتفضيل عند ذوي الجهل

وفضل أبي بكر إذا ما ذكرته رميت بنَصْب عند ذكريَ للفضل

فلا زلت ذا رفض ونصب كلاهما أدين به حتى أوسد في اللحد

على أن الحزن العميق الذي ران على المسلمين جميعاً باضطهاد آل البيت من قبل الأمويين والعباسيين على السواء وما تعرضت له العترة الطاهرة من تعذيب وتقتيل قد جعلت المسلمين الصادقين جميعاً (والشافعي في مكان الصدارة منهم) يرتبطون بآل البيت عطفاً وحباً، والشافعي – الرجل الشجاع الذي لا يخاف في الله لومة لائم – يعلن ذلك بكل جرأة وشجاعة، على رؤوس الأشهاد فيقول[2]:

---

(1) وموقف الشافعي هذا مخالف لما عليه الشيعة من بغض أبي بكر، ولما عليه أهل النَّصب من بغض علي وآله من الأمويين غيرهم، والنَصَب ضد التشيع.

(2) معجم الأدباء ج17 ص310.

يا راكباً قف بالمحصّب من منى ... واهتف بقاعد خيفها والناهضِ[1]

سحراً إذا فاض الحجيج إلى منى ... فيضاً بملتطم الفرات الفائضِ

إن كان رفضاً حب آل محمدٍ ... فليشهد الثقلان أني رافضي

وليس هذا بميل سياسي من الإمام الجليل، ولكنه فيض عن الحب العميق لنبي الرسالة وآله الطيبين الطاهرين، على أن للشافعي رأياً دينياً محضاً في الإمامة نابعاً من صلب الدين والاجتهاد الفقهي، فالإمامة لابد منها عند الشافعي يعمل تحت ظلها المؤمن، ويستمتع بها الكافر، ويقاتل بها العدو وتأمن بها السبل، ويؤخذ بها الحق من القوي للضعيف، حتى يستريح البار ويستراح من الفاجر[2].

وكان الشافعي يرى الإمامة في قريش دون تعيين بطن بعينه، يستوي في ذلك الهاشميون والأمويون وغيرهم سيراً على سنة الخلفاء الراشدين، فقد كان أبو بكر الصديق من بني تيم بن مرة بن كعب، وكان عمر بن الخطاب المخزومي من بني عدي بن كعب، وكان علي كرم الله وجهه هاشمياً، وكان عثمان وعمر بن عبد العزيز (وكان الشافعي يعده خامس الخلفاء الراشدين) أمويين[3].

رحلات الشافعي

ثم رحل الشافعي رحلة اختيارية علمية إلى بغداد سنة 195 وكانت هذه الرحلة أنفع رحلاته، فقد كانت شهرته قد ملأت دنيا الإسلام، وسبقه إلى بغداد كبار المحدثين الذين أخذوا العلم عنه في المسجد الحرام، كأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وبشر المريسي وغير هؤلاء، وعند وصوله بغداد نزل على أبي حسان الزيادي، ثم قصد إلى الجامع الغربي، وفيه تعقد حلقات العلم، وعقد حلقته الشهيرة فأمه المتعلمون والعلماء، وأكثرهم حضروا فاحصين فما لبثوا أن كانوا

---

(1) المحصب: هو موضع الجمار من منى، والخيف هو مسجد الخيف المقدس في منى.

(2) الشافعي لأبي زهرة 138.

(3) المصدر السابق.

مريدين، من هؤلاء أبو ثور وحسين بن علي الهرايسي وغيرهما، فقرب الشافعي بهذه الرحلة بين آراء المحدثين وأصحاب الرأي، ومكث فيها نحواً من سنتين، ألف فيهما مذهبه القديم، وثبت قواعده، وأسس من تلاميذه أركاناً ينشرون علمه، ويناظرون على أساس قواعده، ثم قفل عائداً إلى مكة فلزم حلقته وبشر بمذهبه، وبث علمه، ونادى بأصوله وقواعده، ولم تطل إقامته في مكة حتى عاد إلى بغداد، سنة 199 وأقام نحواً من ثمانية أشهر ثم عاد إلى مكة وأقام فيها فترة يسيرة، اجتمع فيه بالعباس بن عبد الله بن العباس بن موسى بن عبد الله بن عباس (وكان والياً على مصر) فصحبه الشافعي إلى مصر سنة 199هـ، ونزل على أخواله من الأزد[1].

وهنا ألف مذهبه الجديد، وليس بين القديم والجديد كبير فرق، ففي العراق ظهر له من الكتب في الأصول (الرسالة) وفي الفروع (الحجة).

ولما جاء مصر أعاد النظر في (الرسالة) كما أعاد النظر في كتاب الحجة فألف بدله كتاب (الأم) وهو مجموع لكتب كثيرة جديدة ألفها الشافعي في مصر، فإذا قيل في المذهب الشافعي (القديم) فإنما يراد به أقواله في العراق المجموعة في كتاب (الحجة) وإذا قيل (الجديد فيراد به أقواله في مصر المجموعة في كتاب الأم، وابتكر كتباً - كما يقول النوري - لم يسبق إليها منها (أصول الفقه) و(كتاب الجزية) و(كتاب قتال أهل البغي)[2].

وحين قدم الشافعي مصر كان السائد فيها مذهب مالك، والقليل من العلماء على مذهب أبي حنيفة، فما لبث الشافعي أن أقبل عليه الناس واستمعوا له وأحبوه واقتدوا به، وشاع ذكره وملأ البلاد خبره، وقصد من كل ناحية للتفقه عليه والرواية عنه، وسماع كتبه منه، فكثر تلاميذه في مصر كما كثروا في العراق، منهم البويطي[3]،

---

(1) قدمنا أن أمه من قبيلة الأزد من اليمن في الأصل.

(2) راجع كتاب الإمام الشافعي لشيخنا عبد الغني الدقر ص137 وما بعدها.

(3) البويطي: هو أبو يعقوب يوسف بن يحيى ناصر المذهب وبدر سمائه، هو من بويط في صعيد مصر ومن أكبر أصحاب الشافعي في مصر، وكان إماماً جليلاً عابداً زاهداً فقيهاً عظيماً، مناظراً جبلاً من جبال العلم والدين، تفقه على الشافعي، واختص بصحبته، قال أبو عاصم: كان الشافعي رضي الله عنه =

والمزني[1] والربيع المرادي[2] ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم[3] وغيرهم.

مرض الشافعي ووفاته رحمه الله تعالى

مرض الشافعي بالبواسير وزاد به المرض حتى أنهك قواه، وسببت هذه العلة نزيفاً غير منقطع، وما زالت به هذه العلة حتى توفاه الله يوم الجمعة آخر يوم من رجب سنة 204، ودفن بعد العصر من يومه بالقرافة الصغرى، وبني على جانب القبر الشريف مسجد باسم (الإمام الشافعي) وقبره يزار (وقد أكرمني الله بزيارته) رحمه الله رحمة واسعة[4].

فقه الشافعي

لقد جمع الإمام الشافعي بين فقه أهل الرأي وفقه أهل الحديث بنسب اختلف في تحديدها العلماء، فمنهم من يرى أنه جمع بين مدرستي الفقه بنسب متعادلة[5] ومنهم من يرى ميله إلى مدرسة الحديث أقرب[6].

ومهما كان الأمر فقد كان الشافعي فقيهاً مستقلاً في رأيه، متكاملاً في شخصيته

= يعتمد البويطي في الفتيا واستخلفه على أصحابه بعد موته، وقد أصيب البويطي بفتنة (خلق القرآن) وحمل إلى بغداد فمات في السجن في القيد سنة 231هـ.

(1) المزني: هو أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى، ناصر المذهب وكان جبل علم مناظراً محجاجاً قال الشافعي ﷺ في وصفه (لو ناظره الشيطان لغلب المزني الشيطان) وكان زاهداً ورعاً متقللاً من الدنيا توفي سنة 264 هـ.

(2) الربيع المرادي: هو أبو محمد الربيع بن سليمان المرادي (مولاهم) المؤذن ولد سنة 174 واتصل بخدمة الشافعي وحمل عنه الكثير وحدث عنه، وكان ثقة ثبتاً فيما يروي، وكان مؤذناً بالمسجد الجامع بفسطاط مصر المعروف بجامع عمرو بن العاص توفي سنة 270هـ.

(3) ابن عبد الحكم: هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ولد سنة 182 وعلى أبيه نزل الشافعي حين أتى مصر، وكان عالماً جليلاً وجيهاً من شيوخ المالكية في مصر والتحق ابنه محمد بالشافعي ليفقه به وتوفي سنة 260هـ ترجمة الرجال الأربع عن (الإمام الشافعي) للأستاذ عبد الغني الدقر، عن طبقات الشافعية لابن السبكي.

(4) وفيات الأعيان ج3 ص307.

(5) راجع أبا زهرة في كتابه (الإمام الشافعي) ص12.

(6) الشرباصي في كتابه (الأئمة الأربع) ص150.

غير متأثر تأثيراً مُقَيَّداً بالأئمة الذين سبقوه، فقد أخذ عنهم وامتدحهم في كثير من المسائل، ولكنه قد ينتقدهم في مواطن كثيرة أيضاً، لقد اعتمد الشافعي في فقهه (كما اعتمد غيره من الفقهاء) على الكتاب والسنة والإجماع والقياس، وقد ذكر هذه المبادئ في كتابه (الرسالة) ولكنه حيث اعتمد على ذلك فقد وضع لهذا النهج أصولاً وقواعد لم يسبقه إليها أحد من أهل العلم والفقه.

مزية فقه الشافعي

أولاً أصوله الفقهي:

قال الفخر الرازي: (كانوا قبل الإمام الشافعي يتكلمون في مسائل أصول الفقه، ويستدلون ويعترضون، ولكن لم يكن لهم قانون كلي مرجوع إليه في معرفة دلائل الشريعة، وفي كيفية معارضاتها وتوجيهاتها، فاستنبط الشافعي علم أصول الفقه، ووضع للخلق قانوناً كلياً يرجع إليه في معرفة مراتب أدلة الشرع فثبت أن نسبة الشافعي إلى علم الشرع كنسبة أرسطاليس إلى علم العقل[1].

وقال الكرابيسي: ما كنا ندري ما الكتاب ولا السنة ولا الإجماع حتى سمعنا الشافعي يقول: الكتاب والسنة والإجماع، وقال أبو ثور: (لما قدم علينا الشافعي كان يقول: إن الله تعالى قد يذكر العام ويريد به الخاص، وقد يذكر الخاص ويريد به العام، فسألناه عن ذلك فقال: إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ﴾ [آل عمران: 173] والمراد أبو سفيان وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [الطلاق: 1] فهذا خاص والمراد به عام[2] فهذا النهج من البحث في أصل الأحكام جديد في دنيا العلم بقدوم الشافعي).

ثانياً: إن فقه الشافعي مزيج من فقه أصحاب الرأي وهم أصحاب أبي حنيفة

---

(1) مناقب الشافعي 57.

(2) الشافعي 145.

وربيعة الرأي وغيرهم وأصحاب الحديث وهم أصحاب مالك وغيرهم.

فقد كان لكل من الفريقين سلوكه الخاص في الفهم والتفكير والاستنباط، فأهل الرأي أصحاب نظر وجدل وسعة أفق، وقد يرفضون بعض الأحاديث لضعفها، وأصحاب الحديث متمكنون من حفظ أحاديث الرسول ﷺ وأخباره وأفعاله غير أنهم ليسوا أصحاب جدل أو عمق استنباط، ولابد للفقيه الحاذق من أن يكون على مقدرة من الاستعانة بالحديث والرأي جميعاً، حتى يكون فقهه ناضجاً.

والإمام الشافعي صاحب رأي وجدل وحسن نقاش وسرعة بديهة، وهو في نفس الوقت عالم بالحديث رواية ودراية[1] وشيخ كبير من شيوخ المحدثين.

ثالثاً: يأخذ الشافعي بمبدأ الإجماع، ويرى بأن الإجماع حجة يجب أن يعتمد عليها لأن الإجماع لابد وأن يكون في الأصل معتمداً على دليل، ولكن الشافعي وضع للإجماع مقاييس تنظمه، حتى لا يستغل دون برهان ثابت أو أساس من الدين مكين، وقد جعل الشافعي الإجماع يأتي بعد مرتبة الكتاب والسنة لا يتقدم عليهما ولو كانت السنة حديث آحاد.

رابعاً: القياس: لقد اعتمد الأئمة قبل الشافعي على القياس، فمنهم المبالغ ومنه المقتصد، وأنكر القياس جعفر الصادق سادس الأئمة عند الإمامية من الشيعة كما تقدم، وجادل أبا حنيفة في ذلك، ولكن أبا حنيفة كان يعتمد على القياس الجلي والخفي.

غير أن الشافعي إذ يعتمد على القياس فقد جعل له قواعد ورسم له حدوداً ورتب مراتب ثم بين الشروط التي يجب توافرها في الفقه الذي يقيس[2].

خامساً: أبطل الشافعي مبدأ الاستحسان وألف في ذلك كتاباً سماه (إبطال

---

(1) فالرواية علم يشمل على أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وروايتها وضبطها وتحرير ألفاظها، والدراية: علم يعرف منه حقيقة الرواية وشروطها وأنواعها وأحكامها وحال الرواة وشروطهم وأصناف المرويات وما يتعلق بها.

(2) الشافعي لأبي زهرة ص267.

الاستحسان) وهو المبدأ الذي أخذ به أبو حنيفة ومالك، ويعلل الشافعي في إبطال الاستحسان بأن الفقه حين يؤخذ بهذا المبدأ بعد استشارة الكتاب والسنة والأثر والإجماع والقياس يكون قد أخذ بما استحسنه هو وليس بما أعطاه الدليل من الكتاب والسنة.

على أن علماء الرأي عرَّفوا الاستحسان: بأنه العدول عن قياس جلي إلى قياس خفي لعلة يستحسنها المجتهد، كما نص علماء الحنفية على أن سؤر سباع الطير كالنسر والغراب والصقر والبازي والحدأة طاهر استحساناً نجس قياساً.

أما وجه القياس: فإنه سؤر حيوان محرم لحمه كسؤر سباع البهائم كالفهد والنمر والسبع والذئب، وحكم الحيوان تابع لحكم لحمه.

ووجه الاستحسان: أن سباع الطير وإن كانت محرم لحمها إلا أن لعابها المتولد من لحمها لا يختلط بسؤرها، لأنها تشرب بمنقارها وهو عظم طاهر.

وأما سباع البهائم فتشرب بلسانها المختلط بلعابها فلهذا ينجس سؤرها.

ومن هنا العظم لا ينجس بالموت لأنه لا تجري فيه الدماء عند الأحناف استحساناً، وينجس عند الشافعية قياساً، وفي هذا الخلاف تسهيل على الأمة لا يخفى، فالعاج من العظم يستعمل كثيراً وهو من الحيوان غير المأكول، أو من الحيوان الميت كالفيل إذا مات حتف أنفه، والله أعلم.

رأي الشافعي في العقائد

أما علم الكلام وفلسفته فكان في منأى عن ذلك بل كان ينهى أصحابه عن الخوض بعلم الكلام، قال المزني: كان مذهب الشافعي الكراهية في الخوض في الكلام وقال: كان الشافعي ينهانا عن الخوض في الكلام[1].

وكذلك نقل عن الأئمة الثلاث، وهكذا سائر علماء السلف، كانوا يأخذون

---

(1) آداب الشافعي (188).

عقائدهم من ظاهر الكتاب والسنة دون التعمق في مدلولات الألفاظ .

فكانوا يرون أن الله تعالى وصف نفسه بصفات من قدرة وإرادة وكلام وسمع وبصر ووصف نفسه أنه على العرش استوى ، وقال : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى : 11] فيجب أن نؤمن بها كما جاءت ولا نتعرض لتأويلها وشرحها ، فنجري ظواهر النصوص على مواردها ونكف عن تأويلها ، ونفوض معانيها إلى الله ، قالوا : وقد درج أصحاب رسول الله ﷺ على ترك التعرض لمعانيها ، ودرك ما فيها -وهم صفوة الإسلام ، وكانوا لا يألون جهداً في ضبط قواعد الملة ، والتواصي بحفظها ، وتعليم الناس ما يحتاجون إليه منها ، فلو كان تأويل هذه الظواهر مسوغاً أو محتوماً لأوشك أن يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع الشريعة وإذ انصرم عصرهم وعصر التابعين على الإضراب عن التأويل كان ذلك هو الوجه المتبع[1] .

فلما أثار المعتزلة (القول بخلق القرآن) قال علماء السلف : (القرآن كلام الله ، لا نقول مخلوق ، ولا غير مخلوق) ورأى الشافعي رأي السلف بل ربما أصر على أن القرآن غير مخلوق[2] .

الإيمان عند الشافعي قول وعمل

ذهب قوم إلى أن الإيمان هو المعرفة بالقلب والإقرار باللسان معاً ، فإذا عرف المرء الدين بقلبه ، وأقر بلسانه فهو مسلم كامل الإيمان والإسلام ، وإن الأعمال لا تسمى إيماناً ولكنها شرائع الإيمان ، وهذا قول أبي حنيفة النعمان بن ثابت وجماعة من الفقهاء ، وذهب بقية الفقهاء وأصحاب الحديث والمعتزل والشيعة وجميع الخوارج إلى أن الإيمان هو المعرفة بالقلب بالدين والإقرار به باللسان والعمل بالجوارح وأن كل طاعة وعمل خير ، فرضاً كان أو نفلاً فهو إيمان ، وكلما ازداد الإنسان خيراً ازداد إيمانه

---

(1) راجع الإمام الشافعي ص223.

(2) المرجع نفسه عن ضحى الإسلام .

وكلما عصى نقص إيمانه وقال محمد بن زياد الحريري الكوفي: من آمن بالله عز وجل وكذب برسول الله ﷺ فليس مؤمناً على الإطلاق ولا كافراً على الإطلاق، ولكنه مؤمن كافر معاً لأنه آمن بالله تعالى فهو مؤمن، وكافر بالرسول ﷺ فهو كافر[1].

ومذهب الشافعي أن الإيمان قول وعمل واعتقاد، وهذا ما روي عنه:

قال أبو عثمان محمد بن محمد بن إدريس الشافعي: سمعت أبي يقول ليلة للحميدي (ما يحتج عليهم - يعني أهل الإرجاء - بآية أحج من قوله تعالى ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة: 5].

وقال الربيع: سمعت الشافعي يقول: الإيمان قول وعمل واعتقاد بالقلب ألا ترى قوله الله عز وجل ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡ﴾ [البقرة: 143] يعني صلاتكم إلى بيت المقدس، فسمى الصلاة إيماناً وهي قول وعمل وعقد[2].

رأي الشافعي برؤية الله تعالى يوم القيامة

جمهور علماء السلف متفقون على أن أهل الجنة يرون ربهم لظاهر قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾ [البينة: 22-23] ولما روى مسلم في صحيحه عن صهيب عن النبي ﷺ قال: (إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل) وفي رواية ثم تلا: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ﴾ [يونس: 26].

ولما روى البخاري ومسلم عن جرير بن عبد الله قال: كنا عند رسول الله ﷺ جلوساً

---

(1) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ج3 ص188.

(2) راجع كتاب الإمام الشافعي لشيخنا عبد الغني الدقر ص235 عن الانتقاء ص81.

فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال: (إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس، وقبل غروبها فافعلوا) ثم قرأ ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴾ [ق: 39].

والقول برؤية الله تعالى هو قول أبي بكر الصديق وعلي بن أبي طالب وحذيفة بن اليمان وعبادة بن الصامت وكعب بن عجرة، وأبي موسى، وصهيب وابن عباس وهو قول جماعة من التابعين، وهو الصحيح في هذا الباب، وأما قوله الله عز وجل: ﴿ لا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ [الأنعام: 103] فمعناها أنهم ينظرون إلى الله تعالى ولا تحيط به أبصارهم من عظمته ومذهب الشافعي في هذا هو ما قال جمهور علماء السلف: وهو أن أولياء الله تعالى يرون ربهم في الآخرة، والله أعلم[1].

(1) الإمام الشافعي ص238.